حلقة مفقودة

للأستاذ احمد أمين
الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

في مصر حلقة مفقودة لا نكاد نشعر بوجودها في البيئات العلمية مع أنها ركن من أقوى الأركان التي نبنى عليها نهضتنا . وفقدانها سبب من أسباب تقهقرنا في الانتاج القيم والغذاء الصالح

تلك الحلقة هي طائفة من العلماء جمعوا بين الثقافة العربية الاسلامية العميقة وبين الثقافة الاوربية العلمية الدقيقة ، وسؤلاء يعوزنا الكثير منهم ؛ ولا يتسنى لنا أن ننهض الا بهم ، ولا نسلك الطريق الا على ضوئهم .

ان أكثر من عندنا قوم تثقفوا ثقافة عربية اسلامية بحتة وهم جاهلون كل الجهل بما يجري في العصر الحديث من آراء ونظريات في العلم والأدب والفلسفة لا يسمعون بكانت وبرجسون ، ولا بأدباء أوربا وشعرائها ، ولا يعلمانها واتجاهاتهم . اللهم الا أسماء تذكر في المجلات والجرائد والكتب الخفيفة لا تغني فتيلا ولا تستوجب علما — وطائفة أخرى تثقفت ثقافة أجنبية بحتة يعرفون آخر ما وصلت اليه نظريات العلم في الطبيعة والكيمياء والرياضة ويتتبعون تطورات الأدب الاوربي الحديث وما أنتج من كتب وروايات وأشعار ، ويعلمون نشوء الآراء الفلسفية وارتقاءها الى عصرنا ، ولكنهم يجهلون الثقافة العربية الاسلامية كل الجهل . فان حدثتهم عن جرير والفرزدق والاخطل أشاحوا بوجوههم وأعرضوا عنك كأنك تتكلم في عالم غير عالمنا : وان ذكرت الكندي والفارابي وابن سينا قالوا ان هي الأسماء سمعنا بها من علم ، وماذا نحصل من هؤلاء الا على جمل غامضة ومعان عميقة لا تفيد علما ولا تبعث حياة — وبالأمس كنت أحدث مع طائفة من المتعلمين عن « البيروني » العالم الاسلامي الرياضي المتوفى سنة ٤٤٠ هـ وما كشف من نظريات رياضية وفلكية وان المستشرق الألماني « سخاو » يقرر أنه أكبر عقلية عرفها التاريخ في كل عصوره . وأنه يدعو الى تأليف جمعية لتمجيده وأحياء ذكره تسمى جمعية البيروني . فحدثني أكثرهم انه لم يسمع بهذا الاسم ولم يصادفه في جميع قراءاته وهو يعرف عن ديكارت ويكون وهيوم وجون ستوارت مل كثيراً ، ولكنه لا يعرف شيئا عن فلاسفة الاسلام . ومثل ذلك قل في الأدب العربي والأوربي والعلم العربي والأوربي كل ثقافته العربية في كتاب القواعد وأدب اللغة للمدارس الثانوية ان كان قد بقي منها شيء في ذاكرته

هاتان الطائفتان عندنا ، يمثل الأولى خريجو الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء ، ويمثل الأخرى نوابغ خريجي المدارس العصرية والبعثات الأوربية . أما الذين حذقوا العربية والعلوم الاسلامية ونالوا حظا وافرا من الثقافة الأجنبية فأولئك هم الحلقة المفقودة في مصر ، وفقدانها سبب الركود في الحياة العقلية والأدبية

ذلك أن الأولين اذا أنتجوا فعيب انتاجهم أنهم لم يستطيعوا أن يفهموا روح العصر ولا لغة العصر ولا أسلوب العصر وانما التزموا التعبير القديم في الكتابة ، والنمط القديم في التأليف ، وتحجرت أمثلتهم ومل الناس بلاغتهم ، وعمادها رأيت أسدا في الحمام وعضت على العناب بالبرد وعشرة أمثلة من هذا الطراز . ومل الناس نحوهم ومداره ضرب زيد عمراً ورأيت زيدا حسنا وجهه ، وسئم الناس منطقهم ، وكله الانسان حيوان وكل حيوان يموت فالانسان يموت وهذا حجر وكل حجر جماد فهذا جماد — ضجوا بالشكوى لأن الناس لا يسمعون منهم ، وضج الناس بالشكوى لأنهم لا يأتون بجديد ولا يضعون القديم في شكل جذاب ، ولا يلمسون الحياة التي يحيونها ولا البيئة التي يعيشون فيها فانصرفوا عن الناس وانصرف الناس عنهم ورضوا أن يعيشوا في جوهم الخاص ورضي الناس منهم بذلك وسلكوا سبيلا غير سبيلهم واتبعوا دليلا غير دليلهم

وأما الآخرون فضعفت ثقافتهم العربية الاسلامية ، فلما أرادوا أن يخرجوا شيئا لقومهم وامتهم أعجزهم الأسلوب والروح الاسلامي . فلم يستطيعوا التأليف ولا الترجمة وحاولوا ذلك مرارا فلم يفهم الناس منهم ما يريدون وسبوا القراء ورموهم بالضعف والانحطاط ، وسبهم القراء ورموهم بالعي وانهم لا يفهمون ما يكتبون فعاشوا في أنفسهم ولأنفسهم ورضوا من الغنيمة بالاياب

كان من نتيجة ذلك لمن الأدب العربي الاسلامي والعلم العربي الاسلامي والفلسفة العربية الاسلامية على غناها ظلت دفينة لا ينتفع بها ، تنتظر جيلا جديدا يبعثها ويهضمها ويبرزها في شكل تألفه الناس ، وأن الأدب الغربي والعلم الغربي والفلسفة الغربية حرم منها أكثر الشرقيين ولم يصل اليهم الا نوع خفيف ينشر في المجلات والجرائد وأمثالها يقرؤها الناس ليطردوا بها الضجر أو يستطعفوا بها النوم ، فأما أدب غزير وعلم عميق وكتب مجتمعة ومجلات قيمة فقليل نادر

والذي جر الى فقدان هذه الحلقة أن التعليم عندنا سار في خطين متوازيين لم يلتقيا ، فالتعليم العربي الاسلامي سار في خط ، والتعليم المدني الحديث سار في خط آخر ، ولم تكن هناك محاولات جدية لتلاقي الخطين أو ربط بعضهما ببعض

لا أمل في اصلاح هذا الحال الا بالعمل على ايجاد الحلقة المفقودة

وهي تذوق الثقافتين والاغتراف من المنهلين، واخراج أدب وعلم وفلسفة غذيت بما للعرب والاسلام من ثقافة، ولقحت بما للاوروبيين من ثقافة ومنهج، فيها اللغة العربية قوية رصينة وروح الاسلام قوية متينة. وفيها ما للاوروبيين من عرض للمسائل جذاب ونهج في الكتابة رشيق وفيها مقارنة شهية بين ما أنتجه الأولون والآخرون.

لو تم ذلك لرأيت التاريخ الاسلامي يعرض على القراء في شكل محبوب يقرأونه ويستسيغونه، ورأيت الأدب العربي يقدم الى الجمهور ثوبه الجديد يألفونه ويحبونه ورأيت الفلسفة الاسلامية يغاص عليها غوصاً عميقاً ثم تخرج من أصدافها وتجلى للقراء درة لامعة.

هذا هو السبب في نجاح رفاعه باشا ومدرسته فأنتجت انتاجا غذى عصرهم بل كان فوق كفايتهم؛ فقد أرسل رفاعه الى فرنسا بعد ان درس في الأزهر وتعمق في العربية والعلوم الاسلامية فلما حصل على الثقافة الفرنسية وضع يده على المنبعين فأخرج هو ومدرسته للناس ما استساغوه وأحبوه ونهضوا به ولم يكن كذلك من لحق بهم وخلف من بعدهم.

وقد كان أخواننا الهنود أسبق منا الى ايجاد هذه الحلقة والانتفاع بها. اخرجوا التاريخ الاسلامي في ثوب جديد على نمط ما يكتب الغربيون ولكن بروح اسلامي وكتبوا في الدين الاسلامي والفقه الاسلامي بلغة العصر وروح العصر ونظام العصر كما فعل السيد امير علي والسيد محمد اقبال فقد تضلع هذان العالمان الجليلان من الثقافة الاسلامية والأوروبية؛ وأشرب قلباهما حب الاسلام فأخرجا كتباً يقرؤها الشاب المثقف فيحبها ويحب موضوعها ويتزيد منها، ويقرؤها الشاب المتعلم المتخصص في الطبيعة والكيمياء فيجدها تتمشى مع العلم الذي ثقفه والنهج الذي ألفه — وتقرأ للسيد محمد اقبال فتجده يعرض لفلسفة «كانت» فاذا هو فيها دارس عميق والغزالي فاذا هو باحث دقيق ويقارن بين النصرانية والاسلام فيكشف عن باحث خبير فيما يكتب ويعرض لشعراء الألمان كجوته فيحلله تحليلا يدعو الى الاعجاب ويتكلم في المعتزلة والصوفية فاذا هو قد تغلغل في أعماقهم واستبطن دخائلهم ثم عرض تعاليمهم كما يعرض الاوروبي فلسفة قومه شيقة عذبة لذيذة.

ولكن الهنود يعرضون وأسفاه ذلك باللغة الانجليزية فلا يغذون جمهورنا ولا يسدون حاجة العالم العربي انما يتغذى الشرق بهذا يوم توجد هذه الحلقة المفقودة في العالم العربي كمصر والشام فيحيي آثار الأولين بأسلوب الآخرين؛ ويوم يكسر هذا الحاجز الذي يحجز بين علم الشرق وعلم الغرب، ويوم يلوى الخطان المتوازيان فيلتقيان؟

احمد أمين

أثر الثقافة العربية
في العلم والعالم

بقلم احمد حسن الزيات

— ١ —

الشعوب كالأفراد، فيها من يولدون على حكم الطبيعة، ويعيشون على هامش الحياة، ثم يغوصون في ظلال العدم، لا ينعم بهم وجود، ولا ينتظم منهم انسان، ولا يعبأ بهم تاريخ. وفيها من يقبلون اقبال الربيع ينضرون الحياة بالجمال، ويمرعون الأرض بالخصب، ويفيضون على الدنيا سلاما ورواء ونبطة! أولئك الذين يصطفيهم الله من خلقه لاعلاء حقه، فيودعهم سره ويحملهم رسالته فيعيشون لأجلها، ثم يموتون في سبيلها، بعد ان يخلدوا في صدر الزمان وعلى وجه الأرض آثار جهادهم في الله، وجهودهم للناس، وفضلهم على المجتمع. وهؤلاء هم أدلاء ركب الحياة، وحملة ألوية الخليقة يقلون قلة الصفوة، ويبطئون ابطاء الخير. ولكن آثارهم تشغل ذهن العالم، وأخبارهم تملأ سمع الزمن!!.

هذا التاريخ على طوله وفضوله لم يسجل من الأمم التي بلغت رسالات الله بالخير والجمال والحق الا أربعا: العبران في الدين والسلم، واليونان في الفن والعلم والرومان في النظام والحكم. والعرب في كل أولئك جميعاً!

— والعرب في كل أولئك جميعا — فقرة أقولها وأنا أعلم أن الشك فيها سيحك الآن في بعض الصدور. لان ما أقرته التعاليم المريضة في الأذهان من أن اليونان والرومان هم مصادر الثقافة العالمية. وأن العرب أعجز بفطرتهم عن العلم. وأبعد بطبيعتهم عن التمدن. يجعل هذه القضية على اطلاقها سخيفة!

لقد آن للنظر الصحيح أن يرى، وللعقل المجرد أن يحكم!. أما الأحكام التي صدرت عن موتورى الشعوب وتجار العقائد ووراث الاحقاد فلا وزن لها في نظر المنطق ولا شأن لها في رأي العلم

كان العرب في الشرق فاتحين وساكنين فلا بدع أن تعصف ثورة العصبية. وتقوم دعوة الشعوبية. وتظهر فكرة الاسماعيلية والاسحاقية. ويبقى من آثار ذلك ما نشاهده اليوم وقبل اليوم في سياسة الترك والفرس من ازورار عن العربية واضطغان على العروبة. وكان العرب في الغرب فوق ذلك شرقيين ومسلمين فلم يكن بد من تصادم العقائد وتعارض الطبائع وتحكم الجهالة.

محاضرة ألقيت في سالة المحاضرات بالجامعة الامريكية في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢